جوانب من تاريخ الجزائر في فترة الممالك البربرية من خلال العملات النقدية.

Aspects of the history of Algeria in the period of the Berber kingdoms through coins.

رزّيـق عبد الرحمان(*) 1،
[1]معهد الآثار، جامعة الجزائر 2.

تاريخ الاستلام: 12 /2021/11 تاريخ القبول:05 /2022/02

ملخص:

من خلال بحثنا هذا حاولنا، إدراج نواحي عديدة من تاريخ الجزائر في فترة من الفترات التي مرت بها هذه الأخيرة وهي الممالك البربرية، وذلك اعتمادا على القطع النقدية، وما لها من أنماط عديدة تبين من خلالها، نواحي مختلفة تعكس الجوانب التي كانت سائدة في الفترة، والتي أوجدها الملوك النوميد على القطع المعدنية التي ضربوها، حيث كانت لهم غاية من سكها، غير التداول والمتاجرة، حيث حملت أكثر من معنى، من خلالها تمكنا من استنباط بعض من جوانب تاريخ الجزائر في هذه الفترة التي لم تأخذ حقها من الدراسة.

الكلمات الدالة: تاريخ الجزائر، الممالك البربرية، العملات النقدية، ضرب النقود، محتوى العملات.

Abstract:

Through our research, we tried to include many aspects of Algeria's history in one of the last periods, the Berber kingdoms, by relying on coins. And its many patterns that show different aspects that reflect the aspects that were prevalent in that period. They had the purpose of minting money, unlike trade and circulation, as it carried more than one meaning, through which we were able to derive some

(*) المؤلف المرسل: عبد الرحمان رزّيـق، abderahmane.rezzik@univ-alger2.dz

aspects of Algeria's history in this period, which did not take The right to study.

Keywords: Algeria's history, barbarian kingdoms, coins, mintage, coins content.

1. مقدمة:

يدخل ضمن تاريخ الجزائر العديد من الحضارات المتعاقبة والتي كان استقرارها دائم أو مؤقت، أو استقرت على سواحلها بإسكالات تجارية، ولكل حضارة وتأثيرها، وأثرها في هذا البلد العريق، بتاريخه الواسع، وهذا ما خلقته تلك الحضارات من مصادر أثرية هامة تساعد على معرفة نواحي تاريخية مختلفة من خلالها.

فعلى غرار المؤرخين، الكتاب والرحالة القدماء الذين تحدثوا عن الجزائر والتي تعتبر قليلة نظرا لاتساع الرقعة الجغرافية وكذا التعاقب الحضاري عليها، توجد مخلفات أثرية وكل ما ترمز إليه هو استيطان واستقرار الشعوب المختلفة، وهذا ما يظهر جليا في البحوث والحفريات المقامة في عين الحنش، مادور، الجزر الثلاث، برج الأمير عبد القادر، ومؤخرا حفرية ملاكو ومرسى الدجاج، وساحة الشهداء...، فكلها أعطت نتائج ودلائل على مخلفات حضارية تاريخية تساعد في معرفة نواحي من تاريخ الجزائر في مختلف الفترات المتعاقبة من ما قبل التاريخ على مر عصوره إلى تاريخنا الحديث.

ومن بين الفترات التي مرت بها الجزائر، الفترة القديمة، وبالضبط فترة الممالك البربرية أو النوميدية، التي تبقى حلقة مهمة من حلقات تاريخ الجزائر، حيث هناك العديد من الشواهد الأثرية القيمة عن هذه الفترة الموسومة بفترة الممالك البربرية، من نقوش وكتابات، شواهد قبور وأضرحة ومسكوكات وعملات نقدية مختلفة للملوك والمدن النوميدية، وهذه الأخيرة تركت مجال واسع للبحث والتحقيق نظرا لأهمية دراستها وذلك مما تحمله من مدلولات تمنح عدة معطيات تاريخية عن صاحبها، في ظل وجود مصادر شحيحة ونادرة حول هذه الفترة التي تزامنت مع التواجد القرطاجي البوني والروماني بعلاقات متغيرة بين

تحالف وصـــراع خاصة كتابات الرحالة والمعاصرين للفترة.

لذلك فإن دراسة المسكوكات أو العملات النقدية يساعد في إزالة بعض اللبس فيما يخص تاريخ الفترة والتي تظهر جليا في دراستنا هذه، والتي تطرح فيها إشكالية رئيسية: ما هي أهم جوانب فترة الممالك البربرية في الجزائر من خلال العملات النقدية التي ضربها ملوكها؟، وتتفرع بدورها إلى أسئلة ثانوية ما هي المسكوكات وعلم دراستها؟، وما هي أهميتها؟، ما أهم محمولات ومدلولات النقود في فترة الممالك؟.

تساهم هذه التساؤلات في استخلاص عدة جوانب من تاريخ الجزائر في فترة الممالك، وذلك اعتمادا على ما تحتويه هذه العملات، حيث ستزيل الكثير من اللبس وتظهر أهم جوانبها، وقبل التطرق إليها وجب التعريف بهذا المصدر الأثري، الذي هو علم يدرس المسكوكات من خلال ما تحمله من دلالات على وجه وظهر العملات النقدية، التي تعود إلى تلك الفترة.

2- علم المسكوكات:

علم الناميات، أي النقود والمسكوكات، من العلوم الهامة في دراسة نواحي من التاريخ، فالعملة والأنماط بما تحمله من صور الآلهة وصور الملوك والأمراء وأسمائهم، وذكر الحوادث التاريخية، وسنوات ضربها، تقدم للباحثين مادة تاريخية قيمة، ولم يعرف وجود بعض الجماعات إلا عن طريق عملتها التي حفظها التاريخ من الضياع، وتساعد العملة – والمسكوكات عامة- في دراسة تاريخ الأساطير والعبادات والفنون والعملات السياسية، ونشاط التجارة من الأنحاء المتباعدة من العالم والنفوذ السياسي والاقتصادي الذي تمتعت بها الدول[1]، ومجال المسكوكات، دقيق وواسع، حيث يظهر ذلك خاصة على العملة في العصور القديمة، وحتى في العصور الحديثة، جوانب غير محدودة ومتنوعة تسمح لتوفير شهادة لكمية من الأنشطة البشرية المختلفة، وفقا لوجهة النظر لما يستعملها الإنسان، وبل هو كنز من المعلومات عن تاريخ الأديان، الأعراف، الفن، العلاقات الاجتماعية أو التجارية، الحضارية

والسياسية[2].

يعتبر هذا العلم الحديث، فرع من فروع التاريخ والآثار، يقوم على دراسة النقود من حيث معدنها ووزنها، ومأثوراتها* التي عليها وقطرها، بالإضافة لدراسة الميداليات، الأوزان والأنماط، والنقود أنواع بالإضافة لتلك التي يتداولها الناس لسد حاجياتهم هناك أخرى تضرب كنقود تذكارية لتقليد مناسبات سياسية أو دينية، أو ثقافية...، هذا بالإضافة لنوع آخر يضرب عند الحروب فقط ليستخدمه الجنود داخل معسكراتهم، لذا أصبح لهذا العلم أهمية ومكانة بين العلوم والدراسات المختلفة[3].

3- المسكوكات:

هي كل سكة مضروبة أو كل أداة معدنية تشبه العملة، لها قيمة التبادل الاقتصادي حيث كانت تعتبر كتمثال تذكاري فقط، ومن هنا يمكن تحديد العملة النقدية ضمن مجموعة من السكاة أو كل سكة مضروبة، كما أنها يجب أن تحمل رمزا أو شعارا أو إمضاء الحاكم السياسي، هذه العملات تضاف إلى المعدن، التي توضع من طرف السكة السياسية[4]، لذلك دراسة المسكوكات والبحث فيها يضاهي البحث في المصادر الكتابية التاريخية، فهي مختلفة عن باقي الأدوات الأخرى كدراسة الفخار أو التماثيل وغيرها، لكونها مادة واسعة وسريعة الانتشار وكانت متداولة محليا وعالميا[5].

4- معطيات دراسة المسكوكات:

تعتمد دراسة المسكوكات على معطيات مختلفة، طبقا لما تحتويه العملة النقدية المراد دراستها، وجب أن نعرف في بعض الأحيان كيمائيا، مواد صنع النقود، ودرجة السبائك من المعدن، ووزنه، وهذه التفاصيل تعتمد على حد كبير لمعرفة تقدير الدور الاقتصادي للعملة، كذلك التفسير الدقيق لبعض النقوش والكتابات والرموز الموجودة على القطع النقدية، كعلامة القيمة على سبيل المثال، كونه يكون مختلف تماما، ما إذا كانت مكتوبة على قطعة ذهبية أو فضية أو برونزية، أو على قطعة من ضعف أو ثلاث أضعاف وزن آخر، وعلاوة

على ذلك فالمكان الذي ضربت فيه العملة يكون كتابة أو رمز أو علامة، يساعد على تحديد ومعرفة الورشة ومكانها، أو القيمة التي تساويها، أو شعار من وحدة الحكم أو المشرف على الضرب، وتوقيعه، أو حتى أشياء أخرى[6]. نتعرف عليها بالتفصيل حيث لكل دراسة دلالة.

4–1– معدن الصنع: له دلالة اقتصادية وسياسية، تدل على الرخاء والانحطاط حسب نوع المعدن، السمك والوزن وكثيرا ما يرتبط المعدن مع التطور السياسي والاقتصادي حسب فترات القوة والتقهقر.

4–2– الوحدات والأوزان: القطع النقدية متنوعة في الأحجام، والقطر، وبكتل مختلفة كثيرا، والقطع الأكثر خفة لا تتجاوز 0،3 إلى 0،4 غ[7] .

4–3– تقنيات الضرب: حيث توجد طريقتين مختلفتين لصنع القطع النقدية:

4–3–أ– طريقة الطرق: هي العملية الميكانيكية لعملية السك فهي بوضع قطع المعدن الخام بين قالبي السك بحيث يوضع أحدهما بأسفل السندان مثبت في الأرض بينما يوضع القالب العلوي فوق قرص المعدن الخام، ثم يضرب بالمطرقة، فيترك القالبين ختمهما على وجهي القرص ليتم بالتالي تشكيل النقود وتتخذ شكلها النهائي، التي تكون حوافها غالبا غير منتظمة[8].

4–3– ب– تقنية القولبة: يتم صب المعدن المنصهر في قالب من الطين المشوي فتأخذ شكل القالب[9] وتكون أكثر دقة من السابقة.

4–4– الرموز: هي متنوعة، مثل الشعارات، الأسلحة أكثر وأقل تعقيدا، خصوصيات الدول الحيوانات بأنواعها، الحيوانات المحورة، رموز دينية، كائنات مختلفة.

4–5– الصور والشعارات: من العصور اليونانية القديمة إلى بداية العصور الرومانية، فن التصوير وصل إلى القمة، وكانت صور حقيقية أو لآلهة أو شخصيات سياسية، هي متشابهة بما فيها الكفاية للتعرف عليها، ومن الإمبراطورية الرومانية حتى نهاية العصور الوسطى، أصبحت الصور جامدة ونفس الشيء للملوك المتعاقبة وبالتالي لا تشبه الشخصيات، فقط

تعطي معلومات عن أصل العملة.

4-6-علامات الورشات ومختلف النقوش: حيث تحمل سواء رموز مختصرة أو كتابات كاملة عن ورشة الضرب، تعني الورشة التي صنعت القطعة.

4-7- الكتابات: الكتابات على النقود كثيرا ما تحمل معلومات مهمة، يشترط فكها، وفي غالب الأحيان تأتي مكتوبة باللاتينية أو بلغة بلد معين، وخاصة بعض الأحيان مختصرة، وفي البعض الأخر بالحرف الأول والأخير للكلمة[10].

4-8- الاتجاه والمقاييس: تأخذ بعين الاعتبار اتجاه العملة وكذا المقاييس، السمك والقطر وحسابها.

5- أهمية دراسة المسكوكات:

تمكن أهمية دراسة المسكوكات في أنها تمثل إحدى مخلفات الحضارية الهامة التي تعكس لنا الأوضاع السياسية والاقتصادية والمستويات الفنية للمجتمعات التي خلفتها، كما تعكس روح العصر الذي ضربت خلاله، وذلك لتأثير المسكوكات بشكل مباشر بما يدور في عصر سكها من أحداث سياسية واقتصادية ودينية واجتماعية وفنية، وأحيانا نجدها مزدهرة كما وكيفا، وأحيانا أخرى نرى هبوط بمستواها الفني وقلة عددها لظروف أو ضغوط سياسية واقتصادية أو ضعف للمهارات الفنية، ومجمل القول أن المسكوكات تعتبر مصدرا وثائقيا هاما لحضارات المجتمعات الإنسانية[11]، كما تعتبر العملات القديمة، مهما اختلفت الحضارة التي تداولتها، من أهم الوثائق المكتوبة في علم الآثار وعلم المسكوكات، حيث أنها تبقى وتصل على حالها[12].

وتظهر الأهمية من دراسة المسكوكات في علم الآثار بحيث يتم دراستها من اختصاص علم المسكوكات، بالاعتماد على محمولات العملات النقدية، من كتابات، رسوم، واختلافات الأوزان، المقاييس وكذا المعدن وغيره من المعطيات التي تمنح للدراسة نتائج تاريخية هامة وصحيحة، ناهيك من توضعها الطبقي في مكان الدفن أو الحفرية مما تحمل من

معلومات حول التاريخ من ورشة الضرب، تاريخ الضرب، والهيئة المسئولة عن السك، والشعارات...إلخ.

6- قراءة العملات النوميدية:

قد تختلف المصادر التاريخية للجزائر وتتعدد إلا أنها قليلة مقارنة مع عدد الحضارات التي مرت وتعاقب حكمها على الجزائر خاصة بعض الفترات التي تبقى فيها هفوات ونقائص في عدة مجالات تاريخية، اقتصادية، سياسية...، ذلك لنقص المصادر الكتابية والتاريخية، أو عزوف بعض المؤرخين عن الكتابة في بعض الفترات، كما فقد الكثير من هذه المصادر، لكن تبقى بعض الدلائل وإن كانت قليلة تنوب عن هذا الفراغ التاريخي، كالمخلفات الأثرية التي لازالت شاهدة عن فترات عديدة مرت على الجزائر حيث ومن أهم الفترات التي تعاني من التهميش، فترة الممالك وحكم الملوك النوميديين، لكن كان لمخلفاتهم الأثرية دور هام في معرفة الأحداث التاريخية المختلفة عنها، ومن بين الوثائق التي يمكن اعتبارها مصدر مهم من المصادر التاريخية المسكوكات التي ضربها الملوك، عبر قرون عديدة، تعكس جوانب اقتصادية سياسية، اجتماعية، فنية وثقافية...إلخ، ومنها نمكن أن نذكر ما يلي:

6-1- الحياة الاقتصادية للنوميدين:

الجانب الاقتصادي ظهر من خلال التعامل بالعملة في زمن كان التعامل فيه بالعملة سائدا بدل المقايضة، وخاصة في مجتمعات المدن وفي مجال الخدمات كأجور الموظفين والحرفيين والجنود، ومن ثم انتشار العملة جغرافيا فيه دلالة على قيمتها الاقتصادية في زمن إصدارها أو بعد ذلك، كذلك التوسع الاقتصادي من خلال النقود، بحث عثر على نماذج من أقدم العملات النوميدية من إصدار سيفاكس في جهات عديدة من تراب نوميديا (القطعة رقم 01)، شملت المناطق التي كانت تابعة للمملكة من وادي مجردة إلى وادي التافنة وما ورائه، وكذلك الشأن بالنسبة العملات التي أصدرها الملوك اللاحقون من الماسيل بدءا من ماسينيسا[13].

كذلك التجارة بين الممالك الإفريقية وبلدان ما وراء البحر لم تكن أقل نشاطا، ذلك ما تشهد به النقود التي وقع العثور عليها، فالنقود النوميدية كثيرة الوجود بإسبانيا، وعلى الخصوص بالجنوب وكذلك في فرنسا وكرواتيا، حيث عثر في الأخيرة على كنز دفن في مازين Mazin، يعود إلى حوالي سنة 80 ق/م، يضم 328 قطعة عليها صورة ماسينيسا ومعها أكثر من 500 قطعة قرطاجية[14]، وكذلك من خلال النماذج التي تعكس المعادن التي استعملت في ضرب العملة وأكثرها البرونزية، الرصاص، الذهب والفضة تدل على الاقتصاد السائد في فترة حكم الملوك.

لقد كانت الحبوب وخاصة القمح أهم المنتجات الزّراعية في نوميديا، يشكل نسبة كبيرة من الصّادرات النوميدية لروما ولبلاد الإغريق إضافة إلى الشعير[15]، كذلك أنتجت الأرض النوميدية مختلف أنواع البقول والخضر والفواكه[16]، حيث دعا ماسينيسا إلى فلاحة الأرض واستغلالها، فلبى المواطنون دعوة ملكهم وأخذوا في زراعة الأرض واستغلالها[17]، والدليل على اهتمام ماسينيسا لهذا الجانب تجسيده لصور السنابل على ظهر عملته كما كان ازدهار الاقتصاد في عهد ماسينيسا سبباً في ضرب النقود، والتعامل بها داخل البلاد وخارجها[18] .

القطعة رقم 01: قطعة نقدية للملك سيفاكس.

الوجه	الظهر	الوصف
		الوجه: رجل ملتحي وشعر الرأس كثيف، عليه تعصيبة. الظهر: فارس على حصان بلباس خفيف، وكتابة "سيفاكس ملك"

المصدر: مبارك بن محمد الميلي تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح محمد الميلي دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان، ج1، (د.ط)، (د.ت)، ص 177.

6-2- الجانب السياسي:

بادر ماسينيسا بضرب العملة بعد اعتراف روما به وكتابة اسمه كاملا عليها ووظيفته كملك مثل ما فعل خصمه سيفاكس من قبل(القطعة رقم:02)، فكما كان سيفاكس رجل نوميديا القوي وحليف قرطاجة الوفي، فأذنت له بضرب عملة تحمل اسمه وظيفته كملك وإخراج تلك العملة في أجود ما يكون تمشي مع مقتضات الدعاية الحربية ففعلت روما نفس الشيء مع ماسينيسا الذي أصبح في نظرها في منزلة سيفاكس بالنسبة للقرطاجيين من قبله[19].

القطعة رقم 02: قطعة نقدية لماسينيسا.

الوجه	الظهر	الوصف
		الوجه: صورة رجل ملتحي وشعر كثيف مكلل وعصب بالغار. الظهر: صورة فيل نحو اليسار، كتابة بونية "ماسنسن الملك"

المصدر: مجموعة من المؤلفين، الجزائر النوميدية، وزارة الثقافة، الجزائر، (د.ط)، 2007، ص. 183.

ومن بين عملات الممالك الأهلية التي يمكن التأريخ لها، التي أصدرها سيفاكس في نهاية القرن الثالث، وهي من البرونز وعليها اسم الملك بالبونيقية، أما فيرمينا ابن سيفاكس الذي كان ملكا إما في آن واحد مع أبيه أو بعده فلدينا منه نقود فضية، كانت قليلة جدا، فكانت معاصرة لحكم سيفاكس(القطعة رقم: 03) [20].

القطعة رقم 03: قطعة نقدية لفيرمينا.

الوجه	الظهر	الوصف
		الوجه: رجل متجه للمين بدون لحية، مكلل، معصب. الظهر: حصان يعدو لليسار، كتابة بونية "فيرمينا الملك.

المصدر: Ouvrage collectif, L’Algérie au temps des royaumes numides , á l’occasion de l’année de l’Algérie en France, Ministère de la communication et de la culture, Alger, 2003, p. 87.

غالبا ما نعثر – على وجه الخصوص في الجزائر وتونس- على نقود عليها صورة للملك له لحية وعلى رأسه تاج وإكليل من الغار، هذه الصورة رغم ما يلوح عليها من اختلافات واضحة سببها عدم خبرة الصناع، وتمثل نفس الشخص وهو ماسينيسا، كما يدل ذلك على قطعة أو قطعتان كتب عليهما اسمه ولقبه الملكي، ذلك أن صورة الملك الكبير احتفظت بها للذين خلفوه من أبنائه وحفدته الذين لم يعوضوها بصورهم وبالفعل فإن نقودا تحمل هذا الرأس، يبدو أنها تؤرخ للملك مسيبسا، كلوسا، وأذربعل وربما حتى كوصا، يبدو أن هؤلاء الأمراء اكتفوا بكتابة الحرفين الأول والأخير من اسمهم م.ن (MN)، ك.ن (K.N)، ا.ل (A.L)[21].

كان للملوك النوميد دور سياسي هام في الحكم، كما امتازوا بالقوة السياسية، هذا ما يظهر من خلاله تجسيد الملوك لأسمائهم، كاملة أو مختصرة كالملك ماسينيسا(القطعة رقم: 04)، بعد منح ترخيص من طرف الرومان بضرب العملة اعترافا بسيادته وقوته كملك[22].

القطعة رقم 04: قطعة نقدية لماسينيسا.

الوجه	الظهر	الوصف
		الوجه: صورة رجل ملتحي وشعر الرأس كثيف، معصب، مكلل بالغار، إطار محبب. الظهر: حصان يعدو نحو اليسار، كتابة بونية، (M.N)

المصدر: مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق، ص. 185.

ظهور الكتابة اللاتينية على وجه عملة يوبا الأول REX-IVBA وتجسيد صورة أسد على ظهر عملة يوبا الأول في اتجاه اليمين مرفق بكتابات بونية معناها يوبا الملك، وتجسيد الكتابة اللاتينية لارتباطه مع حكّام أفريكا من أتباع بومبي فقد كان شريكاً في مشروع دفاعي ضدّ قيصر، وكان عليه أن يظهر بمظهر القوّة والموازاة في عيون جنوده عندما يدفع لهم أجرهم بعملة تعادل العملة الرومانية[23]، بالإضافة إلى تجسيد الأسد مع كتابة بونية معناها يوبا الملك دلالة على قوّته وشراسته في الحرب وتفاؤله بالنّصر على قيصر[24].

6-3- جانب عسكري:

يجمع المؤرخون القدماء منهم والمحدثين على أنّ نوميديا كانت تشتمل على تكتلات قبلية[25]، هذا ما ساعد على ظهور طاقم عسكري، خاصة وأنّ إقليم نوميديا كان مسرحا لحروب كبيرة ضد قرطاجة والرّومان كالحروب البونية، وهذا ما يستخلص من خلال ظهر العملات التي تحمل صور الحصان والفيل، حيث كان لهما دوراً كبيراً كأداة للحرب في بلاد المغرب القديم[26]، وتبرز مكانة الفرس في الجيوش النوميدية في وجود عدد خيالة مرتفعاً مقارنة مع عدد المشاة، مما يدل على المكانة الممتازة التّي تشغلها الخيول في الجيوش النوميدية[27]، أما بالنسبة للفيل أستعمل كذلك في الجيوش النوميدية إلّا أنّه أقل أهمية من الحصان، وتحكم النوميديين في ترويضها واستعمالها لأغراض حربية فقد كان دور الفيل كبيرا في تشتيت صفوف الأعداء وتفريقها (القطعة رقم: 04 و05).

القطعة رقم 05: قطعة نقدية ليوبا الأول.

الوجه	الظهر	الوصف
		الوجه: صورة رجل على شكل إله (بعل حامون). الظهر: صورة فيل باتجاه اليمين، كتابة بونية، يوبا الملك

المصدر: Alexandropoulus (J), les monnais du l’Afrique

antique 400av. J-C. 40 a.p. J-C , Toulouse, 2007, p.402.

إضافة إلى النصوص تشهد الوثائق الأثرية بأن الفيل كان ذا منزلة معتبرة عند المقاربة، شأنه شأن الحصان، حيث ورد رسمه في كثير من القطع النقدية المنسوبة إلى الدول والممالك، أشهرها قطعة منسوبة إلى الملك ماسينيسا، ولعل إثبات رسم الفيل على النقود يرمز إلى القوة العسكرية والرخاء الاقتصادي[28]، كذلك اقتبس بعض الرؤساء الخوذة التي كان يلبسونها كأداة للرفاهية أو كسلاح للدفاع، وعلى ما يقال فإنه قطعة من نقود سيفاكس، تحمل على ظهر فارس برداء لنوع من الأردية الخفيفة[29] (القطعة رقم: 06).

القطعة رقم 06: قطعة نقدية لماسينيسا.

الوجه	الظهر	الوصف
		الوجه: صورة رجل ملتحي وشعر الرأس كثيف، معصب مكلل بالغار. الظهر: حصار يعدو نحو اليسار.

المصدر: مجموعة من المؤلفين، الجزائر النوميدية، المرجع السابق، ص.184 .

6-4- جانب ديني:

اهتم النوميديين بالجانب الديني ويظهر ذلك من خلال تنوع الآلهة عندهم، ولقد عمّت المنطقة النوميدية عبادة الإلهين بعل حامون وتانيت بني بعل (وجه بعل) وتعبدت الآلهة المحلية السابقة عنها في المنطقة[30]، كما يظهر اهتمامهم بالدّين من خلال تشييد المعابد الكبيرة خاصة في عهد يوبا الأول وهذا ما ظهر على عملته (القطعة رقم: 07 و08)، وفي وقت لاحق ظهرت كذلك الإلهة أفريكا*، وجسدت في العملة أواسط القرن الأول ق.م[31].

القطعة رقم 07: قطعة نقدية ليوبا الأول.

الوجه	الظهر	الوصف
		الوجه: صورة يوبا الاول، ملتحي وكثيف الشعر، صولجان على الكتف، كتبة لاتينية "Juba rex" يوبا الملك. الظهر: معبد بسقف مثلث الشكب وثمانية أعمدة، كتابة بونية.

المصدر: مجموعة من المؤلفين، الجزائر النوميدية، المرجع السابق، ص. 191.

القطعة رقم 08: قطعة نقدية ليوبا الأول.

الوجه	الظهر	الوصف
		الوجه: مبنى بـ5 أعمدة، الثلاثة الوسطى تماثيل، كتابة بونية حديثة، يوبا الملك. الظهر: مبنى بثلاث أعمدة، سقف مثلث.

المصدر: Alexandropoulus (J), les monnais du l'Afrique, op. cit., p. 402.

وعلى نقود ماسينيسا أو نقود من خلفوه، وعلى نقود يوبا الأول ظهر رأس زيوس آمون بقرون كبش، (القطعة رقم: 05)، فمن خلال هذا النموذج الإغريقي لابد من الاعتراف بأنه إله يعبده الأهالي[32]، أما الآلهة أفريكا التي سبق ذكرها، وجدت في نقود ملوك نوميديا وموريطانيا كيوبا الأول، بوكود...[33].

إن جل الديانات قد أخفت الكائنات الإلهية في الشكل الإنساني، والنقود التي سكها النوميديين، أو سكتها مدن كانت ضمن دولهم، كل ذلك يبرهن على أن الأهالي حينها اتخذوا الآلهة الواردة عليهم من الخارج، قد تلقوا أيضا صورها المجسمة، فمن ذلك آمون أو بعل آمون، في الشكل الإغريقي لزيوس بقرني الكبش، إفريقيا التي تغطي رأسها بإيهاب الفيل (خرطوم الفيل)، أو الآلهة ذات البروج التي تحمي المدينة وغير ذلك...[34]، كما طرأت

التأثيرات الأجنبية على المعابد الدينية في عهد الملوك النوميديين، بل قد بني آنذاك بعض المعابد الثرية وبهندسة إغريقية، وذلك تبرهن عليه بعض نقود يوبا الأول[35].

6–5– جانب ثقافي، فني:

ظهرت عند النوميديين ثقافات متنوعة أصلية محلية وأخرى عبارة عن تأثيرات أجنبية، حيث ومن الجوانب الفنية، العملة النوميدية التي صدرت بمنوال العملة القرطاجية أو ما يسمى بالقاعدة الفينيقية التي تعتمد على الشيكل وحدة لها، وهذا ما يدعم الموروث البوني والإسهام النوميدي في هذا المجال وغيره، وتتميز الموضوعات اللايكونوغرافيا للعملة النوميدية فكذلك مضمون يجسد موروثا ثقافيا مستوحى من تراث بوني وملامح خصوصية مغاربية مع لمسات مستلهمة من تقاليد هيليستينية (إغريقية – شرقية) شائعة في بلدان حوض البحر الأبيض المتوسط[36].

كان الملوك الأوائل منذ سيفاكس ومسينيسا يعصبون رؤوسهم بتعصيبات من شريط ضيق من الثوب اقتبسوه من خلفاء الإسكندر الذي بدوره اتخذه تقليدا لملوك الفرس، والكثير من ملوك البربر كمسينيسا ويوبا الثاني يستذكرون انتصاراتهم بتزيين رؤوسهم كما يظهر على نقودهم بأكاليل من الغار (القطع رقم: 01، 02، 03، 04، 06، 07)، لأن الملوك الأفارقة كانوا يقلدون الهيليستنيين بجعل صورهم على نقودهم التي سكوها، كما كانوا يرتدون ملابس الأرجوان عندما يريدون للظهور بالفخامة والأناقة بمنزلتهم[37]، بالإضافة إلى تميزها بصور رؤوس بلحية وشعر كثيفين، حيث كان السكان المحليين يهتمون كثيرا بشعرهم، وذلك ما تؤكده عملات يوبا الأول التي تظهر فيها اللحية الملكية مشبكة في خصلات متوازية[38]، أما بالنسبة للنقود التي سكت في نهاية القرن الثالث إلى غاية الميلاد، يظهر في بعضها شعر قصير غير مجعد، وطويل مضطربا في بعض الآخر، وأحيانا تنزل كثيفة على شكل قضبان وبعض الأحيان معقوصة[39]، هذا بالنسبة للصور الآدمية لأشخاص حقيقيين كالملوك مثل: سيفاكس، فيرمينا، مسينيسا، يوبا وبوكوس، يوغود ويوبا الثاني، وبطليموس وكيليوباترا وهذه

شخصيات حقيقية وثقتها نصوص تاريخية، واقترنت صورهم بأسمائها مع العملة نفسها، وهناك أخرى لم ترد أسمائهم على القطع، أو جاءت مختصرة على العملة المنسوبة إليهم، وهناك صور آدمية لكنها تعبر عن معبودات شخصية على هيأة بشر، كالمعبود آمون، والآلهة الإفريقية[40]، التي تم الإشارة إليها سابقا.

كذلك وظفت في النقود النوميدية الصور الحيوانية المتعددة من صور للأسد، الفيل، والحصان. حيث كان للخيول مكانة كبيرة عند الملوك النوميد، وماسينيسا لا تكاد تخلو كل عملاته التي سكها عن صور الحصان[41]، فهو مشخص في العملات النوميدية في حالتين، ممطي (مركوب)، كما هو الشأن في عملة سيفاكس ويتجه نحو اليسار، والحالة الثانية طليق حر دون أي تجهيز وهو في وضعية حركة يعدو في اتجاه اليمين، على جل العملات النوميدية التي يظهر فيها وتكون صورته كاملة[42].

أما بالنسبة للكتابة التي حملتها النقود النوميدية، فكانت كتابات بونية قديمة، كتابة بونية حديثة أي متطورة، وغالبا ما يعتمد نوع الخط (الكتابة) كعنصر تأريخ للقطع النقدية الخالية عن عناصر التأريخ، وقد كتبت جميع العملات النوميدية بالخط البوني وبلغة بونية أيضا، ما عدا الملك يوبا الأول الذي ظهر الحرف اللاتيني مع بعض إصداراته أثناء تحالفه مع أتباع بومبي، وكانت متبوعة بكتابة بونية[43] (القطع رقم: 01، 02، 03، 04، 05، 07، 08).

وكانوا النوميد يدثرون برداء طويل، مربوط إما على الكتف الأيسر إما على الكتف الأيمن، مفتوح من الأمام كليا، كما يترك الذراعين عاريتين...، وعلى قطعة من نقود سيفاكس، نشاهد على ظهره فارس برداء من نوع الأردية الخفيفة[44]، كما يظهر على وجه عملة يوبا الأول، لباسه ليس كاملا، مشدود ظهر فيها مرتديا رداءا على أعلى صدره ورقبته بشكل ملفوف من الأمام وهو نفس الشكل الذي ظهر في وسام على شكل قلادة منسوبة له يبدو فيها ملتحيا على شكل الملوك النوميديين[45].

أما الفن المعماري فهو قليل التجسيد ونقود يوبا الأول، توضح بناية تقوم على ثمانية أعمدة يتوسطها مدخل وتعلوها عارضة واسعة فوقها جبهة مثلثة ثنائية، تبدو البناية أنها تمثل واجهة معبد، وأخرى شبيهة للأولى، بفرق بسيط في كون ثلاثة أعمدة من الثمانية هي على شكل تماثيل رجالية، وفوق العارضة ثلاث فراغات فتحات متفرقة[46].

7– الخاتمة:

تاريخ الجزائر عريق، ومسألة جمع معلوماته، صعبة من جهة أنه تعاقبت علية كل الحضارات والفترات التاريخية، ومن جهة أخرى إهمال أو نقص الكتابات والمصادر أو شحها خاصة المصادر الكلاسيكية الإغريقية أو الرومانية، ومن جهة أخرى فقدان أجزاء كبيرة من تاريخنا، بالإضافة إلى إهمال فترات من التاريخ، مما يولد بعض الفراغات في السلم التاريخي، وعلى سبيل ذلك فترة الممالك الأهلية أو البربرية النوميدية، رغم تزامنها مع الحضارة القرطاجية والرومانية.

ولذلك، فإن الاعتماد على المصادر الأثرية، لتعويض ذلك الفراغ التاريخي، يمنح أدلة ملموسة تساعد على قراءة ما تحويه هذه الشواهد، التي قد تمدنا بمعلومات نادرة أو حتى دلائل قاطعة، فهي متعددة بتعدد المخلفات الإنسانية في المواقع الأثرية، من مخطوطات، عناصر وأبنية معمارية، شوهد قبور، أنصاب ومسكومات...إلخ، وهذه الأخيرة تعد من أهم المصادر الأثرية التي قد يعتمد عليها الأثري، المؤرخ وأي باحث في مجال البحث التاريخي، فهي شاهد على مستعملها ومتداولها، حيث تمدنا من خلال محمولاتها ومدلولات جميع الجوانب الاقتصادية، السياسية، الدينية، الثقافية...، هذا ما ساعد في محاولة فهم تلك الجوانب من خلال المسكوكات التي تعود إلى الفترة النوميدية، حيث تعتبر الفترة غامضة، ولهذا تعتبر المسكوكات التي ضربت على يد الممالك النوميدية، مرآة عاكسة لجوانب الحياة في تلك الفترة، من خلال ما تحمله من معلومات والتي تدل على اقتصاد المنطقة التي كانت تضرب العملة وتتعامل بها عوضا من المقايضة، وكذا استعمالها لدفع أجور العاملين والجنود

في الجيش، خاصة بإتباع النظام المعمول به عند الرومان والقرطاجيين، وذلك للمنافسة على قوة الإقليم.

كذلك ضرب النوميد العملة بمعادن مختلفة من ذهب، فضة، رصاص وبرونز، ومن هذه النماذج أدلة على اقتصاد واستغلال المعادن بالمنطقة.

من خلال العملات النقدية للنوميد التي انتشرت في الساحل المتوسطي دلالة على القوة التجارية التي امتازت بها في هذه الفترة.

كذلك امتازت الفترة بالقوة السياسية والوقوف في وجه الدول المستعمرة من طرف الملوك التي ضربت النقود باسمها ولقبها والرتبة وتوظيف صورها الحقيقية، والتي تعبر عن السيادة والسيطرة التامة على المنطقة من خلال نظام الضرب والتداول باسم الحكم والسلطة التي يعتليها.

امتازت المنطقة باتخاذ ديانات محلية وأخرى أجنبية، حيث ضرب الملوك النوميد مجموعات نقدية ذات دلالات للمعبودات المنتشرة في الإقليم، على غرار بعل آمون والآلهة أفريكا، وصورت بصور أشخاص غير حقيقيين بتحوير في شكلها للترميز للآلهة، كذلك بالنسبة للعمارة الدينية التي تكاد تخلو عن المصادر عن أنواعها في المنطقة، فهي وظفت بالقطع التي طرحها الملك يوبا الأول.

تعتبر الممالك النوميدية من بين أهم القوات التي وقفت في وجه سياسة الاستعمار لشمال إفريقيا، ويظهر ذلك جليا في ضرب العملة لتضاهي قيمة الدول المجاورة والمنافسة على الإقليم، كما استعمل الحصان والفيل في الحروب العسكرية من خلال توظيفه في أنماط العملة، وما هو إلا دليل على الاهتمام بالفروسية وتكوين جيش صلب في وجه الأعداء.

تميزت ثقافة النوميديين وفنونها عن غيرها بالطابع المحلي التي جسدته على العملات النقدية الأولى والتي تلت الملك سيفاكس وماسينيسا بصور حقيقية لرجال بلحية وشعر كثيف مجعد ومقوس، وضربت باتجاه اليمين واليسار، كما رافقتها كتابات ولغة بونية قديمة ومتطورة،

تدل على نوع الكتابة السائدة، بالإضافة إلى نموذج للملك يوبا الأول الذي طرح كتابة جديدة لاتينية، تحدثنا على هدف تجسيدها، كذلك منحت صور ألبسة الملوك المنمطة على عملات النوميد، لمحة عن نوع اللباس السائد في المنطقة.

سادت في الممالك النوميدية نوع من الفنون المعمارية، رغم قلة المصادر الذي تتناول هذا الجانب المبهم، وفي القطعة التي تعود إلى يوبا الأول برزت واجهة المعبد المصورة عليها بتأثيرات إغريقية ، ترمز للجانب المعماري الديني.

يعني ومن خلال المسكوكات النوميدية يمكن فهم جوانب عديدة من الحياة اليومية للعنصر النوميدي وكذا فهم العلاقات الداخلية والخارجية، وأهم الجوانب التي دارت فيها، وعلى رأسها الجانب الاقتصادي، السياسي، الديني، الحضاري والثقافي...إلخ، ومن هنا نحاول سد ذلك الفراغ التاريخي الذي تعاني منه هذه الفترة الهامة في ظل وجود ندرة في الدراسات والاهتمامات من طرف الباحثين، وحتى المعاصرين للفترة، فالمسكوكات من أهم المصادر الأثرية التاريخية عن قوم ضربوها وتعاملوا بها.

8- قائمة المراجع:

-العربية:

- إصطيفان إكصيل، الممالك الأهلية، " حياتها المادية والفكرية والروحية"، ترجمة: محمد التازي سعود، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، الجزء السادس،2007.

- إصطيفان إكصيل، تاريخ شمال إفريقيا القديم، " الممالك الأهلية، نظامها الاجتماعي والسياسي والاقتصادي"، ترجمة: محمد التازي سعود، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، الجزء الخامس، 2007.

- حسن عثمان، منج البحث التاريخي، دار المعرفة، القاهرة، الطبعة الثامنة، 2000.

- حسين الشيخ، دراسات في تاريخ الحضارات القديمة، الرومان، دار المعرفة الجامعية، (د.ط)، 2005.

- سليم عرفات المبيض، النقود العربية الفلسطينية وسكتها المدنية الأجنبية، مطابع الهيئة المصرية العامة، (د.ط)، 1989.
- عزت زكي احمد قادوس، العملات اليونانية والهيليستينية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د.ط)، 2005.
- مبارك بن محمد الميلي تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح محمد الميلي دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان، ج1، (د.ط)، (د.ت).
- مجموعة من الؤلفين، تاريخ الجزائر من خلال المسكوكات، وزارة الثقافة، تلمسان، (د.ط)، 2011.
- محمد الهادي حارش، التطور السياسي والاقتصادي في نوميديا، دار هومة، الجزائر، (د.ط)، 1996.
- محمد الأخضر ضيف الله، محاضرات في الحضارة العربية، ديوان المطبوعات، الجزائر، (د.ط)، 1982.
- محمد صغير غانم، المملكة النوميدية والحضارة البونية، دار الهدى للطباعة والنّشر والتوزيع، عين مليلة، (د.ط)، 2006.
- محمد الصغير غانم، المقاومة والتّاريخ العسكري ألمغاربي القديم، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954، (د.ط)، 2007.
- محمد البشير شنيتي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، بحث في منظومة التحكم العسكري (الليمس الموريطاني)، ومقاومة المور، الجزء الأول، ديوان المطبوعات المدرسية، الجزائر، (د.ط)، 1999.
- نسيم بن مبارك، الصناعة في نوميديا من 203 إلى 46 ق.م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم، قسم التاريخ، جامعة الإخوة منتوري- قسنطينة، 2010/2009.

- كاتيا جاما الإلهة إفريقيا عبر القطع النقدية الموريطانية والنوميدية، عن حوليات المتحف الوطني للآثار، العدد الخامس، الجزائر، 1996.

– الأجنبية:

-Babelon (J), La numismatique antique, presses universitaires de France, Paris, quatrième édition, 1970.
-Rebuffat (F), La monnaie dans l'antiquité, Paris, 1986.
-Babelon (E), Traité des monnaies grecques et romaines, tomepremier, imprimerie Régis marcdessou, Paris, 1901.
-Alain (P), Introduction à la numismatique, A.S.A, U.S.T.L et numis-club du nord, exposé du 30 Octobre, 2008.
–Gsell Stéphane, histoire ancienne de l'Afrique du nord, les royaumes indigènes, vie matérielle, intellectuelle et morale, librairie Hachette, paris, Tom vi, 1927.

9– الهوامش:

[1] – حسن عثمان، منج البحث التاريخي، دار المعرفة، القاهرة، الطبعة الثامنة، 2000، ص. 32.

[2] – Babelon (J), La numismatique antique, presses universitaires de France, Paris, 1970, quatrième édition, p.7.

* –النقوش والكتابات التي تحتويها النقود.

[3] – سليم عرفات المبيض، النقود العربية الفلسطينية وسكتها المدنية الأجنبية، مطابع الهيئة المصرية العامة، 1989، (د.ط)، ص.23.

[4] – Rebuffat (F), La monnaie dans l'antiquité, Paris, 1986, p.3.

[5] – حسين الشيخ، دراسات في تاريخ الحضارات القديمة، الرومان، دار المعرفة الجامعية، 2004، (د.ط)، ص. 364.

6– Babelon (E), Traité des monnaies grecques et romaines, tomepremier, imprimerie Régis marcdessou, Paris, 1901, p.352.

7– Alain (P), Introduction à la numismatique, A.S.A, U.S.T.L et numis-club du nord, exposé du 30 Octobre, 2008, p.5.

8– سليم عرفات المبيض، المرجع السابق، ص. 25.

9– Alain (P), op.cit. p. 5.

10– Ibid, p. 15-17.

11–عزت زكي احمد قادوس، العملات اليونانية والهيليستينية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2005، (د.ط)،ص. 4.

12– Rebuffat (F), La monnaie ..., op.cit. p.8.

13– مجموعة من الؤلفين، تاريخ الجزائر من خلال المسكوكات، وزارة الثقافة، تلمسان ، 2011 ،(د.ط)، ص . 49 .

14– إصطيفان إكصيل، الممالك الأهلية، " حياتها المادية والفكرية والروحية"، ترجمة: محمد التازي سعود، الجزء السادس، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2007، (د.ط)، ص. 71.

15– Gsell Stéphane , histoire ancienne de l'Afrique du nord , Tom vi , les royaumes indigènes, vie matérielle, intellectuelle et morale, librairie Hachette, paris, 1927, p 84.

16– محمد الهادي حارش، التطور السياسي والاقتصادي في نوميديا، دار هومة، الجزائر، 1996، (د.ط)، ص .111.

17– محمد الأخضر ضيف الله، محاضرات في الحضارة العربية، ديوان المطبوعات، الجزائر، 1982، (د.ط)، ص 179.

18– نفسه، ص. 179 .

19– مجموعة من المؤلفين، تاريخ الجزائر ...، المرجع السابق، ص. 49.

[20]– إصطيفان إكصيل، تاريخ شمال إفريقيا القديم، " الممالك الأهلية، نظامها الاجتماعي والسياسي والاقتصادي"، ترجمة: محمد التازي سعود، الجزء الخامس، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2007، (د.ط)، ص. 138.

[21]– إصطيفان إكصيل، تاريخ شمال إفريقيا القديم، المرجع السابق، ص. 138.

[22]– مجموعة من المؤلفين ، تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص. 62 .

[23]– نفسه، ص. 63.

[24]– نفسه، ص. 66.

[25] – محمد صغير غانم، المملكة النوميدية والحضارة البونية، دار الهدى للطباعة والنّشر والتوزيع، عين مليلة 2006، (د.ط)، ص 38.

[26]– محمد الصغير غانم، المقاومة والتّاريخ العسكري ألمغاربي القديم، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954، 2007، (د.ط)، ص. 279 .

[27]– محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص 113.

[28]– محمد البشير شنيتي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، بحث في منظومة التحكم العسكري (الليمس الموريطاني)، ومقاومة المور، الجزء الأول، ديوان المطبوعات المدرسية، الجزائر، 1999، (د.ط)، ص. 290.

[29]– إصطيفان إكصيل، الممالك الأهلية، " المرجع السابق، ص. 47.

[30]– محمد صغير غانم، المملكة النوميدية...، المرجع السابق، ص. 160.

*– يبدو أن أصلها يعود إلى فينيقيا، هي من بين الآلهة التّي كان يعبدها سكان شمال إفريقيا آنذاك، آلهة الأرض الإفريقية ذات الأصول الغامضة وعلى هيئة امرأة مصحوبة بعدّة رموز. مثل شكل امرأة وعلى رأسها سلخ فيل. عادة مرفوقة بأسد، كما خصص لها عبادة خاصة تؤكده عدد من التماثيل في مختلف الأماكن، عن: كاتيا جاما، الإلهة إفريقيا عبر القطع النقدية الموريطانية والنوميدية، عن حوليات المتحف الوطني للآثار، العدد الخامس الجزائر، 1996، ص. 39.

[31]– مجموعة من المؤلفين، المرجع السابق، ص 63.

[32]– إصطيفان إكصيل، الممالك الأهلية، المرجع السابق، ص. 131.

[33]– نفسه، ص. 141.

[34]– نفسه، ص. 143.

[35]– نفسه، ص. 144.

[36]– مجموعة من المؤلفين، المرجع السابق، ص 50.

[37]– إصطيفان إكصيل، تاريخ شمال إفريقيا القديم، المرجع السابق، ص. 115.

[38]– إصطيفان إكصيل، الممالك الأهلية، المرج السابق، ص. 22.

[39]– نفسه، ص. 20.

[40]– مجموعة من المؤلفين، تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص. 50.

[41]– إصطيفان إكصيل، الممالك الأهلية، المرج السابق، ص. 157.

[42]– مجموعة من المؤلفين، تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص. 50.

[43]– نفسه، ص. 50، 51.

[44]– إصطيفان إكصيل، الممالك الأهلية، المرجع السابق، ص. 24.

[45]– نسيم بن مبارك، الصناعة في نوميديا من 203 إلى 46 ق.م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم، قسم التاريخ، جامعة الإخوة منتوري– قسنطينة، 2009/2010، (د.ط)، ص. 35.

[46]– مجموعة من المؤلفين، تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص. 50.